

بعض الدقة ، الا انه لا يكفي الا اذا اخذنا بعين الاعتبار مغزى دور الزعامة الذي انيط بهرتزل . وفي هذا المضمار ، نجد ان هرتزل وضع بمثابة واجهة مؤاتية للحركة الصهيونية يبعد الانظار عن وقفوا فعليا وراءها ، في حين انه من وجهة النظر العالمية فان زعامته لم تكن سوى زعامة اسمية وشكلية .

الواقع ان دفع هرتزل الى واجهة الحركة الصهيونية كان قد بدأ قبل لقائه بالبارون روتشيلد . فما ان صدر كراس الدولة اليهودية منذ بداية عام ١٨٩٦ حتى بدأت تتوافد الى هرتزل اعداد بعض الصهيونيين المارين في فينينة وخاصة في شرقي اوروبه . وبالطبع لم يوافق الصهيونيون هؤلاء على الاراء الدون كيشوتية التي اوردتها هرتزل ( مثلا نقل مقاهي فينينة الى المنطقة الجديدة واقامة متحف « لوفز » فيها وتحثيط حثث الذين يموتون خلال الرحلة . . الخ ) ولكنهم وجدوا فيه على ما يبدو اداة مناسبة لاغراضهم . وكان من اهم الذين توافدوا لزيارة هرتزل ، زعيم جمعية احباء صهيون في روسيه مناخيم اوشيشكين ، الذي كان مارا بمدينة فينينة في طريقه من روسيه الى باريس لمقابلة البارون روتشيلد الذي كان مهول احباء صهيون ، فحثه الصهيوني الفيني القديم ، ناثان بيرنباوم ، ( الذي كان اول من استنبط عبارة « الصهيونية » ) على زيارة هرتزل والتعرف اليه . ولم يذكر هرتزل في مذكراته هذه الزيارة التي كان لها تأثير حاسم في مستقبله الصهيوني على الرغم من انه سجل جميع الاحداث الاقل اهمية بما في ذلك الاحداث التافهة ، ربما لانه لم يعتبر انها كانت ذات اهمية الا ان اوشيشكين نفسه وصف انطباعه عن هرتزل في هذه المقابلة وذكر كيف انه بعد عودته من زيارة هرتزل سأل بيرنباوم عن انطباعاته عن هرتزل فقال : « انه سيؤدي خدمات كبيرة الى حركة فلسطين . فجازبية شخصيته ستجذب دون شك جميع اليهود الروس وربما يهود اوروبه الغربية ايضا . وعنده نقص كبير واحد ، ولكن هذا النقص من شأنه بالواقع ان يكون مفيدا جدا في الظروف الحالية . فهو لا يعرف شيئا على الاطلاق عن اليهود ، وهو لذلك يعتقد ان الصهيونية لا تواجه سوى صعوبات خارجية وليس صعوبات داخلية . ويجب الا تتفتح عيناه وبذلك يبقى ايمانه بقضيتنا كبيرا » !

وبناء على ذلك ، فقد وجد هرتزل نفسه يدفع الى رئاسة الحركة الصهيونية ، مع العلم ان قراءة اليوميات تظهر انه لم يقم على قيادتها فعليا بل كان « الزعيم الفخري » لها . ومع مرور الزمن ، بات هرتزل يعتبر مؤسس الصهيونية مع انه لدى توصله الى الصهيونية كانت هذه الحركة يتمويل اثرياء اليهود وعلى رأسهم البارون روتشيلد قد قطعت شوطا كبيرا منذ اوائل ثمانينات القرن الماضي تنظيميا في اوروبه وماليا واستيطانيا في فلسطين . الا ان هرتزل اعتبر مؤسس الصهيونية على أساس ان انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل ( وهو الذي تشكلت اكثرية عضويته الساحقة من ممثلي جمعيتي التوطنين الرئيسيتين : « احباء صهيون » التابعة لعائلة روتشيلد و « جمعية التوطنين اليهودية » التابعة لعائلة هيرش بالإضافة الى ممثلي الاتحاد اليهودي العالمي الفرنسي ) ، لكن كان قد تم بأن قامت هذه المنظمات بالترتيبات اللازمة للمؤتمر في حين طلب من هرتزل الدعوة « الشكلية » اليه والاعلان « الرسمي » عنه . ولا شك في ان انعقاد هذا المؤتمر لو تم باسم ممثلي جمعيتي روتشيلد وهيرش ( خاصة وان الفترة اللاحقة شهدت اندماجهما عند تخلي الأخيرة عن عمليات الارجنتين ) ، لكان اثار شكوك الحكومات الاوروبية المتنافسة على فلسطين وشكوك السلطنة العثمانية على مستوى عال وربما كان من شأن ذلك اعاققة نمو الحركة الصهيونية . اما انعقاده باسم هرتزل الذي اراد وعلن مرارا وبكامل الجد عن هدفه بشراء فلسطين قاتونيا من السلطان العثماني مقابل مليوني جنيه ، فان من شأن ذلك الا يؤخذ بالجد الذي انطوى عليه مما حال دون قيام الشكوك المترتبة عليه . وهكذا ترأس هرتزل المؤتمر الصهيوني الاول والثاني والثالث